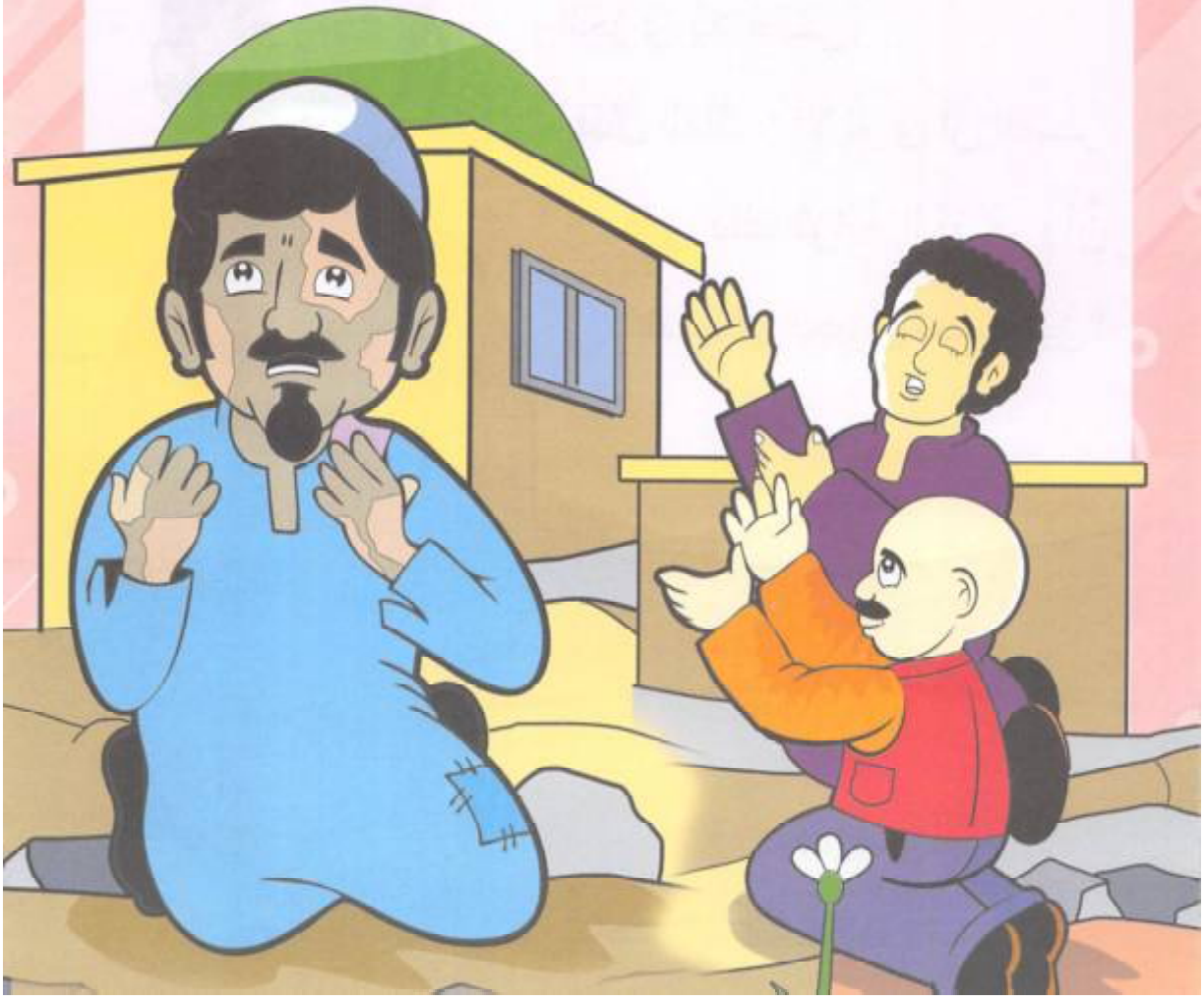
بالشُّكرِ تدومُ النِّعَمِ

يُحكى أَنَّ ثَلاثةً مِن بَني إِسرائيلَ أقرع وأبرص وأعمى اجتمعوا معاً فرَفَعَ كُلُّ واحدٍ مِنهمْ يَديهِ إِلى السَّماءِ يَدعُو اللهَ أَن يُفرِّج عَنهُ مَا هو فِيه مِن هَمٍّ وَكربٍ .



أَمَّا الأَوَّلُ فَكانَ أَبرَصاً، فدعا الله أن يرزقهُ لوناً حسناً وجلداً جميلاً. وأَما الثَّاني فَكانَ أَقرعًا، فدعا الله أن يرزقهُ شعراً جميلاً يتزين به بين الناس.

وأمَّا الثَّالثُ فكان أَعمَى، فدعا الله أن يرد إليه بصره ليرى نعم الله حوله.



فَأرادَ اللهُ سُبحانهُ وتَعالى أَن يَختبَرهُمْ ، فَأرسلَ إِليهمْ ملَكاً على صورة رجُل.

فَلمَّا جَاءَ المَلَكُ لِلأبرَصِ قَالَ لَهُ : أَيُّ شَيءٍ أَحبُّ إِليـــكَ؟

قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ، وجِلدٌ حَسَنٌ ، ويَذهبُ عَنِّي هَذا البَرَصُ الَّذي اسْتقذَرَني النَّاسُ بِسَبَبِهِ، وتَحاشُوني.. إِنِّي لأَشعرُ بِالأسَى، والخِزْيُ يُلاحقُني.

فَقالَ المَلَكُ : أَلا تَرى أَنَّ الصَّبْرَ عَلى ذَلكَ ثَوابُهُ الجَّنـةَ، وأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَجزي الصَّابِرينَ؟



فَقالَ الأَبرصُ : بَلَى وَاللهِ، إِنِّي أَعلمُ ذَلكَ ، ولَكنَّ العَافيةَ أَوسعُ لي.

فَقالَ المَلكُ : فَإِنْ شَفاكَ اللهُ مَا الَّذي سَتفعلُهُ ؟ ... وكَيفَ سَتَشْكُرهُ ؟

فَقالَ: سَأشكرُ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالى ، ولأَكونَنَّ عِندَ حُسنِ ظَنِّ رَبِّي بِي . وَلأكونَنَّ مِنَ المُحْسنينَ .



فَأوحَى اللهُ إلى المَلَكِ الكَريمِ فَمسحهُ بِيدهِ، فَذهبَ عَنهُ البَرصُ، وانْقلبَ كَأحسنِ مَا يَكونُ الرَّجلُ .. لَونٌ حسنٌ، ومَنظرٌ بهيٌّ، وعَافيةٌ، وكُلُّ ذَلكَ بِإذنِ اللهِ سُبحانهُ وتَعالى القَادرِ عَلى كُلِّ شَيءٍ والَّذي إنْ أَرادَ شَيْئاً فَإنَّهُ يَقولُ لَهُ كُنْ فَيكونُ.

فَفرحَ الرَّجلُ بِما آتاهُ اللهُ مِن فَضْلهِ ، وبَدأَ يَقفزُ مِنَ الفَرحةِ.

ويَقولُ : لَقد شُفيتُ ... لَقد شُفيتُ ... الحَمدُ للهِ الحَمدُ للهِ.



ثُمَّ قَالَ المَلَكُ : وأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟

فَقالَ : الإبلُ .

فَأعطاهُ المَلَكُ نَاقةً حَامِلاً ، وقَالَ لَه : بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيها .

فَزادتْ فَرحةُ الرَّجلِ بِما آتاهُ اللهُ، فَقدْ شَفاهُ ثم رزقه الله إبلاً كَثيرةً من هذه الناقة التي بارك الله له فيها.

ومَا كَانَ يَدري أَنَّ اللهَ يُعطي عِبادهُ مِن فَضلهِ لِيبلوهُمْ أَيشكرونَ أَم يَكفرون.



ثُمَّ مَضى المَلَكُ فِي طَريقِهِ إلى الأَقرعِ، فَلمّا أَتاه قَالَ لَه: أَيُّ شيءٍ أَحبُّ إلَيكَ؟ فَقالَ الأَقرعُ: شَعرٌ حَسنٌ، فَإنَّ ذَهابَ شَعري وتَقيُّحَ رَأسي نَفَّرَ النَّاسَ مِنِّي، وكَرَّهني إلَيْهِمْ.

فَقالَ المَلَكُ : أَلا تَرى أَنَّ الصَّبْرَ عَلى هَذهِ البَلوى وَاحْتِسابَ الأَجْرِ عِندَ اللهِ ثَوابُهُ الجنَّةُ، وأَنَّ اللهَ يَجزي الصَّابرينَ بِصبرهِمْ أَعْظَمَ الدَّرجاتِ؟

قَالَ الأَقرعُ: نَعمْ، وَلَكنَّ العَافيةَ أَوسعُ لي.

قَالَ المَلكُ : فَإنْ شَفاكَ اللهُ وَجَمَّلكَ مَا الَّذي سَتفعلُهُ ؟ ... وكَيفَ سَتَشْكُرهُ؟

فَقالَ: سَيبقى شُكرُ اللهِ نُصبَ عَيني، وَلأكونَنَّ عِندَ حُسنِ ظَنِّ رَبّي بِي.



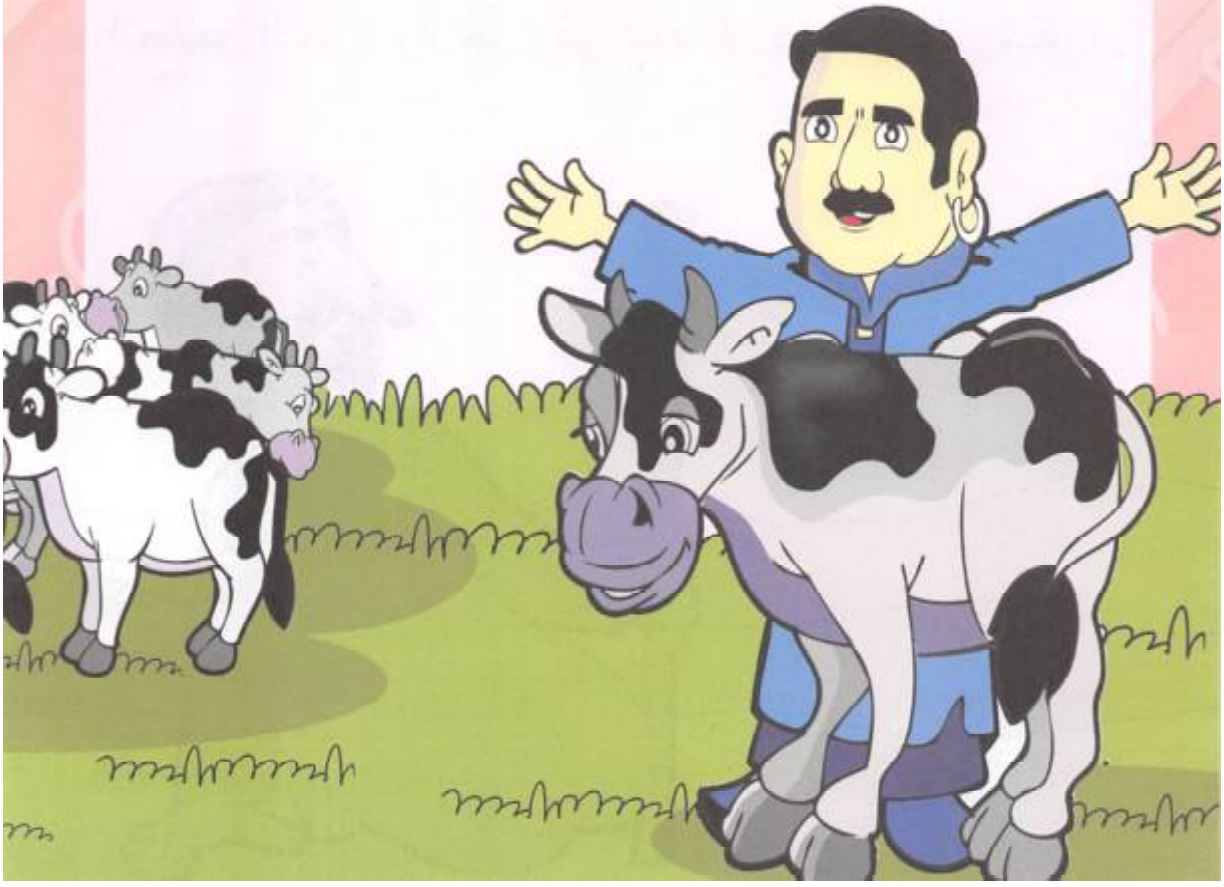
فأوحَى اللهُ إلى المَلَكِ الكريمِ فَمسحهُ بِيدهِ ، فَذهبَ عَنهُ مَا أَصابَ رَأسهُ بإذنِ اللهِ تَعالى ، وَكُسيَ شَعراً جَميلاً أَظهرَ حُسنَهُ ، وبَدأَ يَقفزُ مِنَ الفَرحةِ كَما فَعلَ الأَبرصُ وهو يَقول : لَقدْ شُفيتُ ... لَقدْ شُفيتُ ... الحَمدُ لله، الحَمدُ للهِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ المَلكُ: أيُّ المالِ أَحبُّ إليكَ؟

فقالَ الرَّجلُ: البقرُ.

فَأعطاهُ المَلكُ بقرةً حَامِلاً، وقالَ لهُ: بَارِكَ اللهُ فيها.

فصَار عندهُ بقراً كَثيراً.



ثُمَّ مَضى المَلَك فِي طَريقهِ إلى الأَعْمَى فَلمّا أتاهُ قَالَ لَهُ: أَيُّ شَيءٍ أَحبُّ إليكَ ؟

فَقالَ الأَعْمَى : أَن يَردَّ اللهُ عَليَّ بَصري ، فَأبصرُ كَما يُبصرُ النَّاسُ .

وأَرى جَمالَ خَلقِ اللهِ وَأسْعدَ بِمحاسنِ الأَشياءِ وبَديعِ أَلوانِها.

فَقالَ المَلَكُ : أَلستَ مَعي أَنَّ الابتلاءَ مَعَ الصَّبْرِ يَرفعُ دَرجاتِ المُؤمنِ فِي الجَنَّةِ؟!

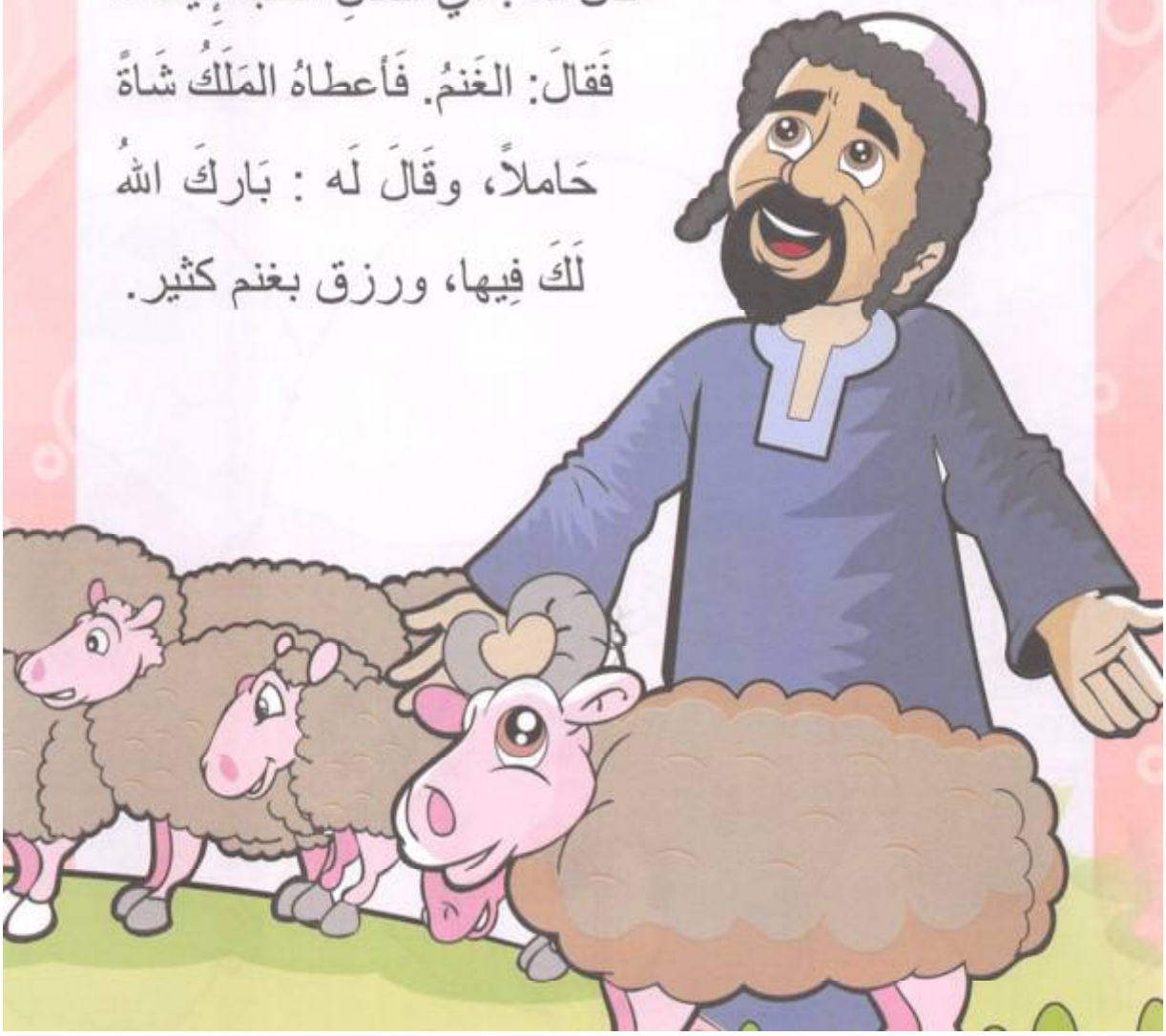
فَقالَ الأَعْمَى: بَلى، لَستُ أُنكرُ ذَلكَ، وَلكنَّني أَصبحتُ أتحاشَى النَّاسَ، وأَرجُو رَبِّي دَائماً أَن يُعينَني عَلى شُكرهِ .



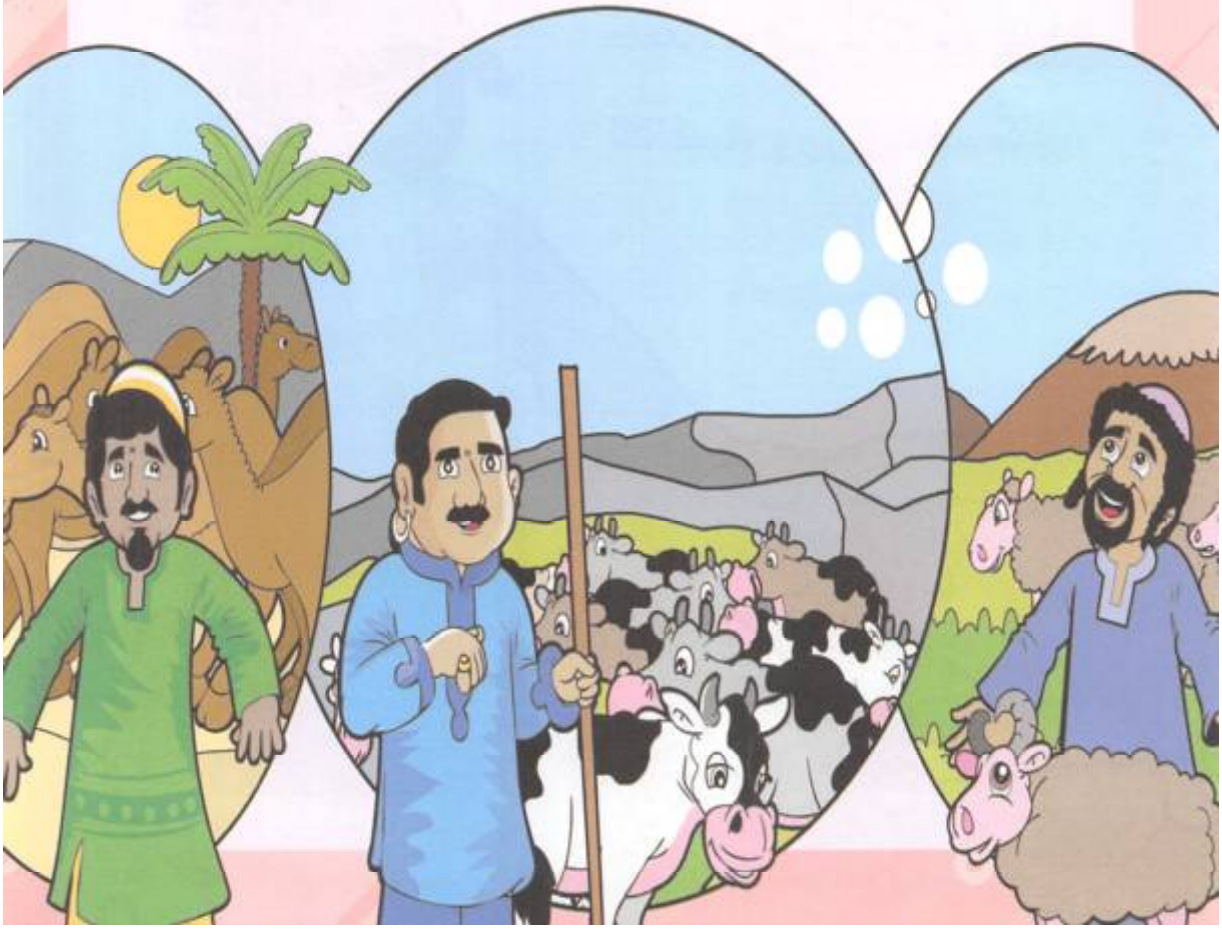
فَأوحَى اللهُ إلى المَلكِ الكَريمِ فَمسحهُ بِيده، فَرُدَّ عَليهِ بَصرهُ. بِإذنِ اللهِ تعالى، وبَدأَ يَقفزُ مِن الفَرحةِ كَمَا فَعلَ الأَبرصُ وَالأقَرعُ وهو يَقولُ : لَقد شُفيتُ ... لَقد شُفيتُ... الحَمدُ للهِ، الحَمدُ للهِ.

أَنا أَرى، مَا أَجملَ نِعمةَ البَصرِ مَا أَجملَ نعمةَ البَصر. ثُمَّ قَالَ لَه : أَيُّ المَالِ أَحبُّ إِليْكَ ؟

فَقالَ: الغَنمُ. فَأعطاهُ المَلَكُ شَاةً حَاملاً، وقَالَ لَه : بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيها، ورزق بغنم كثير.



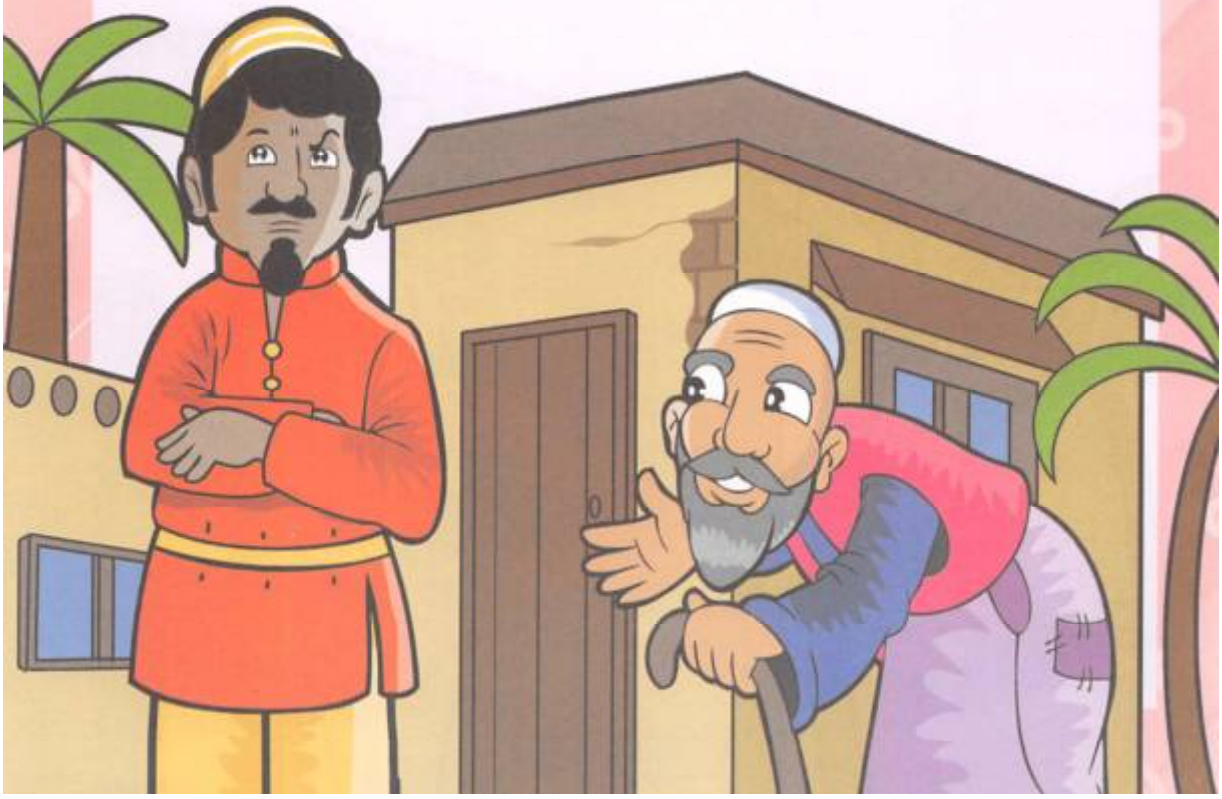
وَمَرَّتِ الأَيامُ ، وعَاشَ هَؤلاءِ الثَّلاثةُ في رَغَدٍ مِنَ العَيشِ. وعَاشوا بَينَ النَّاسِ كَأحسنِ مَا يَكونُ الرَّجلُ في أَهْلِهِ وَعَشيرتِهِ، وكَانَ لهُمْ فِي أَقْوامهمْ وَمعارفهمْ العِزُّ والمَنزلةُ الرَّفيعةُ، فَقد رُزِقَ الأَوَّلُ إبِلاً كَثيرةً مَلأَتِ الوَادي الَّذي كَانَ يَسكنهُ، ورُزِقَ الثَّاني بَقراً كَثيراً مَلأ الوَادي الَّذي كَانَ يَسكنهُ، أَمَّا الثَّالثُ فَقدِ ازْدادَ غَنمُهُ وَتَكاثرَ، فَكانَ لهُ وَادياً مُمتلئاً بِالغنمِ.



وبَعدَ مُرورِ زمن طويل حَانَ وَقتُ الاختبار .

فقد وعَدَ كلّ واحدٍ منهم ربَّهُ أن يكون عبداً شكوراً،وأَن يُحسنَ إِلى الفُقراءِ والمَرضى وَأبناءِ السَّبيلِ وأَهلِ الحَاجةِ، وَأنْ لا يَرُدَّ أَحداً قَصدَهُ ؟ وَأنْ يَكونَ عِندَ حُسنِ ظَنِّ رَبِّهِ بِهِ؟ والسَّعيدُ مَنْ صَدقَ اللهَ وَعدهُ. فَجاءَ المَلَكُ إِلى مَنْ كَانَ أَبرصَ فَشفاهُ اللهُ ... على هيئة رجل فقير يطلب مساعدته، فَتقدمَ المَلَكُ وقَالَ لَه : أَعِنِّي ، أَعانكَ اللهُ .

فَنظرَ الأبرص إِليهِ بِاستقذارٍ وقَال : مَن أَنتَ أَيها الرَّجلُ الغَريبُ؟



فَقالَ المَلكُ : أَنا رَجلٌ مِسكينٌ قَد انْقطعَتْ بِيَ السُّبلُ فِي سَفرِي ، وَلنْ أَصلَ إِلى أَهلي وبَلدي إِلا بِفضلِ اللهِ ثمَّ بمساعدتك لي، وَقَدْ جِئتكَ طَامعاً بِجودكَ وكَرمكَ .. فَأرجو أَن تَهَبَني مِمّا أَعطاكَ اللهُ، جَملاً يُبَلِّغُني الأَهلَ والْبَلدَ فَقالَ لَه : كُنتُ أَودُّ أَن أُعطيكَ ، وَلكنَّني لا أَستطيعُ لِكثرةِ حُقوقِ النَّاسِ عَليَّ وضِيقِ يَدي .

فَقالَ المَلَكُ : أَسألكَ بِاللهِ الَّذي أَعطاكَ اللَّونَ الحَسنَ ، والجِلدَ الحَسنَ ، والمَالَ الوَافرَ أَن لا تَبخلَ عَليَّ ، وَأنْ تُكرِمَني كَما أَكرمكَ اللهُ ، وأَن تُحسنَ إِليَّ كَما أَحسنَ إِليكَ اللهُ.



فَغضبَ الرَّجلُ الغَنيُّ كَثيراً وقَالَ بِصوتٍ مُرتفع: لا تُكثرِ المَسألةَ أَيُّها الرَّجلُ ، هَيَّا اغْرُبْ عَن وَجهِي ولاَ تَأْتِ إِلى هُنا مَرَّةً أُخْرى .

قَالَ لَهُ المَلكُ لِيذكِّرَهُ بِما كَانَ عَليهِ عَلَّهُ يَرجعُ إِلى نَفسهِ فَيَفي اللهَ مَا وَعدهُ: يَا هذا ... كَأَنِّي أَعرفكَ؛ أَلَمْ تَكنْ أَبرصَ يَستقذِركَ النَّاسُ فَجمَّلكَ اللهُ ؟ وفَقيراً ، فَأغناكَ اللهُ؟

فَقالَ الرَّجلُ مُنكراً ذَلكَ جَاحداً نِعمةَ اللهِ وَفَضْلِهِ : لَم أَكنْ في يوم من الأيام أبرص كَما تَدَّعي أَيُّها الكَذَّابُ - أَمَّا المَالَ فَقَد ورِثتهُ عَن آبائي العِظام، وَأَجْدادِي الكِرام .

وهُنا قَالَ المَلَكُ بَعدَ أَنْ عَرفَ أَن لا فَائدةَ تُرجى مِنهُ، وأَنهُ



قَد أَنكرَ نِعمةَ اللهِ: إنْ كُنتَ كَاذباً فإنِّي أَسألُ اللهَ أَن تَعودَ كَما كُنْتَ.

وفَجأةً عَادَ الرَّجلُ – كَما كَانَ - أَبرصَ كَريهَ المَنظرِ.. لأَنَّهُ لَمْ يَفِ بِما قَطعَ عَلى نَفسهِ للهِ مِن عَهدٍ ، فَعادَ سِيرتهُ الأُولَى جَزاءَ غَدرهِ وَإخلافهِ وجُحودهِ لنِعَم اللهِ عليه .

فَأَخَذَ يَبكي نَادماً عَلى مَا فَعلَ، ويَرجو المَلكَ أَنْ يَدْعو اللهَ كَيْ يَشفيَهُ ،،، فَقالَ لَهُ المَلَكُ : لَقدْ جَاءَ أَمرُ رَبِّكَ فَلا رَادَّ لِقضائهِ ولا مُبدِّلَ لحُكْمهِ، ثُمَّ نَظرَ الرَّجلُ إلى الإبِل فَوجدَها بَدأتْ تَنفقُ واحدةً تِلوَ الأُخرى إلى أَن مَاتَتْ كُلُّها وعَادَ إلى سِيرتهِ الأُولى أَبرصَ فَقيراً يَستقذرهُ النَّاسُ، ويتحاشُونَهُ .. لِيشعرَ مِن جَديدٍ بِالأسى، والخِزيُ يُلاحقهُ .





ثُمَّ أَتى المَلكُ مَنْ كَانَ أَقْرعَ وَهو عَلى هَيئتهِ وصُورتهِ، فَقالَ لَهُ مِثلَ مَا قَالَ لِسابقِهِ الأَبرصِ.

فَكانَ رَدُّهُ مِثلَ مَا رَدَّ الأَبرصُ. فَدعا المَلَكُ عَليهِ أَن يَعودَ أَقرعَ كَما كَانَ يَستقذرهُ النَّاسُ وَيتحاشونَهُ، فَعادَ كَما كَانَ لِيجزيَهُ اللهُ عَلى عَدمِ حِفظِ نِعمتهِ بِالشُّكرِ وأَداءِ الحُقوقِ.



فَجاءَ المَلَكُ إلى مَنْ كَانَ أَعْمَى فَشفاهُ اللهُ ... وَهوَ عَلى هَيئتهِ يَومَ كَانَ أَعْمَى. فَتقدمَ المَلَكُ مِنهُ وقَالَ لَه: أَعِنِّي، أَعانكَ اللهُ. فَنظرَ الرَّجلُ إليهِ بِعطفٍ وحَنانٍ وَقالَ: مَنْ أَنتَ أَيُّها الرَّجلُ الغَريبُ الطَّيِّبُ وكَيفَ لِي أَن أُساعدَكَ؟

فَقالَ المَلَكُ: أَنا رَجلٌ مِسكينٌ قَدِ انْقَطعتْ بِيَ السُّبلُ فِي سَفري، فَلنْ أَصلَ إلى أَهلِي وَبلدِي إلا بِفضلِ اللهِ، وَقَدْ جِئتكَ طَامعاً بِجودكَ وَكرمكَ .. لأَسألَكَ بِالَّذي رَدَّ عَليكَ بَصركَ، ورَزقكَ مِن فَضلهِ العَميمِ شَاةً أتبلَّغُ بِها فِي سَفرِي. فَأرجُو أن تَهَبَنيَ ممَّا أَعطاكَ اللهُ إنْ كُنتَ مِنَ المُحسنينَ.



فَنظرَ الرَّجلُ إليهِ فِي ضَعفهِ وَفقرهِ فَأشفقَ عَليهِ، وتَذكرَ مَا كَانَ هُوَ عَليهِ مِن الضَّعفِ وقِلَّةِ الحِيلةِ، فَحمدَ اللهَ تَعالى عَلى لُطفهِ فِيهِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَقد كُنتُ أعمى. وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَليَّ بَصرِي، وَأكرمنِي فَرزقَنِي، وأَقسمتُ لأَكونَنَّ مِنَ الشَّاكرين؛ فَخذْ مَا شِئتَ مِنَ الغَنمِ، ومَا رَغبتَ مِنَ المَالِ، ولَنْ أَمنعكَ ذَلكَ، فَلِلَّهِ المِنَّةُ أَوَّلًا وآخراً وهو المُعطِي، ومَا أُعطيكَ مِن فَضلي، إنْ هُوَ إلا فَضلُ اللهِ .

فَقالَ المَلَكُ: أَمسكْ عَليكَ مَالكَ، بَاركَ اللهُ لَكَ فِيهِ، إنَّمَا اخْتبركَ اللهُ وصَاحِبيكَ ، فَرضيَ عَنكَ وسَخطَ عَليهِما .

